الزهراء: مجلة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية
e-ISSN: 2502-8871
p-ISSN: 1412-226X
DOI: http://dx.doi.org/10.15408/zr.v23i1.52035
السنة الثالثة والعشرون، العدد : ١، ١٤٤٨هـ/٢٠٢٦م
هذا المنشور متاح مجانا بموجب ترخيص نسبة المصنف إلى مؤلفه CC-BY-SA
https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/

Tamaththulāt al-Waʿy al-Bīʾī fī al-Adab al-ʿArabī al-Mubakkir: Muqārabah Īkūnaqdiyyah Muqāranah bayna al-Jāhiliyyah wa-Ṣadr al-Islām

◊ سيف الأنوار[١]
◊ لقمان سومرنا[٢]
◊ ريسماواتي[٣]

[١] الجامعة الإسلامية المفتوحة الدولية/ جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا – إندونيسيا
saepula@bahasa.iou.edu.gm
[٢] الجامعة الإسلامية المفتوحة الدولية – الجامعة الإسلامية المفتوحة الدولية
sumarna@bahasa.iou.edu.gm
[٣] الجامعة الإسلامية المفتوحة الدولية – إندونيسيا
Rismawatiyusuf94@gmail.com

تاريخ إصدار المقال :
تاريخ الاستلام: ١ يناير ٢٠٢٦
تاريخ المراجعة: ١ يونيو ٢٠٢٦
تاريخ القبول: ٣٠ يونيو ٢٠٢٦

الكلمات المفتاحية:
الوعي البيئي، النقد البيئي، الشعر الجاهلي، شعر صدر الإسلام، الأدب العربي

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تمثلات الوعي البيئي في الشعر العربي خلال مرحلتين تأسيسيتين من تاريخ الأدب العربي، هما العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، مع بيان أوجه الاستمرار والتحول في تصور العلاقة بين الإنسان والطبيعة. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي المقارن ضمن إطار النقد البيئي(Ecocriticism) ، من خلال تحليل نماذج مختارة من الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام اعتمادًا على الدراسة المكتبية للمصادر الأولية والثانوية ذات الصلة، وأظهرت نتائج الدراسة أن الوعي البيئي في الشعر الجاهلي ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالواقع الصحراوي وتجربة البقاء؛ إذ ظهرت العناصر البيئية، مثل الليل والصحراء والجبال والمطر والمياه والحيوانات، بوصفها مكونات أساسية تحدد الوجود الإنساني وتشكل الذاكرة الجمعية والهوية الثقافية للمجتمع العربي. أما في شعر صدر الإسلام فقد شهدت هذه العناصر تحولًا دلاليًا ملحوظًا تحت تأثير الرؤية التوحيدية الإسلامية، حيث لم تعد الطبيعة مجرد فضاء مادي للحياة، بل أصبحت علامات كونية وآيات إلهية تعكس قدرة الله وحكمته. وقد تجلت هذه النقلة في توظيف الماء والجبال والسماء والنور والفجر بوصفها رموزًا إيمانية وأخلاقية تعزز الوعي بعلاقة الإنسان بخالقه وبالكون المحيط به، وتخلص الدراسة إلى أن الشعر العربي انتقل من وعي بيئي ذي طابع تكيفي وجودي في العصر الجاهلي إلى وعي بيئي ذي بعد لاهوتي–إيكولوجي في عصر صدر الإسلام، مع احتفاظه بحساسيته العميقة تجاه البيئة والطبيعة. وتسهم هذه النتائج في توسيع آفاق الدراسات البيئية في الأدب العربي وإبراز الجذور التاريخية للوعي البيئي في التراث العربي الإسلامي.

المؤلف المراسل/Corresponding author: saepula@bahasa.iou.edu.gm

Al-Zahra: Journal for Islamic and Arabic Studies
e-ISSN: 2502-8871
p-ISSN: 1412-226X
DOI: http://dx.doi.org/10.15408/zr.v23i1.52035
Vol. 23, No. 01, 2026 M-1448 H
This is an open access article under CC-BY-SA license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

Manisfestation of Ecological Consciousness in Early Arabic Literature: A Comparative Ecocriticism Approach between The Pre-Islamic and The Early Islamic Period

◊ **Saepul Anwar**[1]
◊ **Lukman Sumarna**[2]
◊ **Rismawati**[3]

[1] *International Open University / UIN Syarif Hidayatullah Jakarta – Indonesia*
saepula@bahasa.iou.edu.gm
[2] *International Open University – Indonesia*
sumarna@bahasa.iou.edu.gm
[3] *International Open University – Indonesia*
Rismawatiyusuf94@gmail.com

Article History
Received: January 1, 2026
Reviewed: Juni 1, 2026
Accepted: Juni 30, 2026

Keywords
Ecological Consciousness, Ecocriticism, Pre-Islamic literature, Early Islamic literature, Arabic Literature

Abstract

This study examines the manifestations of ecological consciousness in Arabic literature during the Pre-Islamic (*Jāhiliyyah*) and Early Islamic periods, focusing on the continuities and transformations in representations of the human–nature relationship. Using a comparative descriptive-analytical approach within the framework of ecocriticism, the research analyzes selected poetic texts through library-based study of relevant primary and secondary sources. The findings show that ecological consciousness in Pre-Islamic poetry was closely connected to the realities of desert life and survival. Natural elements such as deserts, mountains, rain, water, and animals were depicted as integral to human existence, cultural identity, and collective memory. In Early Islamic poetry, these ecological elements underwent a significant reinterpretation under the influence of the Islamic worldview of *tawḥīd*. Nature was no longer viewed solely as a physical environment but also as a manifestation of divine signs that reveal God's power, wisdom, and providence. Consequently, elements such as water, mountains, the sky, light, and dawn acquired spiritual and ethical meanings that emphasized the interconnected relationship between humans, nature, and the Creator. The study concludes that Arabic poetry evolved from an adaptive-existential ecological consciousness in the Pre-Islamic era to a theo-ecological consciousness in the Early Islamic period while preserving a profound sensitivity to the natural environment.

Abstrak

Penelitian ini mengkaji manifestasi kesadaran ekologis dalam produk sastra Arab pada masa Jahiliyah dan periode Islam Awal dengan menyoroti kesinambungan serta perubahan dalam representasi hubungan manusia dan alam. Penelitian menggunakan pendekatan deskriptif-analitis komparatif dalam kerangka ekokritik melalui analisis terhadap teks-teks puisi terpilih berdasarkan studi kepustakaan dari sumber primer dan sekunder yang relevan. Hasil penelitian menunjukkan bahwa kesadaran ekologis dalam puisi Jahiliyah erat kaitannya dengan realitas kehidupan dan perjuangan bertahan hidup di lingkungan gurun. Unsur-unsur alam seperti gurun, gunung, hujan, sumber air, dan hewan digambarkan sebagai bagian penting yang membentuk keberlangsungan hidup, identitas budaya, dan memori kolektif masyarakat Arab. Pada periode Islam Awal, unsur-unsur ekologis tersebut mengalami reinterpretasi yang signifikan di bawah pengaruh pandangan dunia Islam yang berlandaskan *tauhid*. Alam tidak lagi dipahami semata-mata sebagai lingkungan fisik, tetapi juga sebagai tanda-tanda kebesaran Allah yang mencerminkan kekuasaan, hikmah, dan pemeliharaan-Nya. Oleh karena itu, elemen-elemen seperti air, gunung, langit, cahaya, dan fajar memperoleh makna spiritual dan etis yang menegaskan keterhubungan antara manusia, alam, dan Sang Pencipta. Penelitian ini menyimpulkan bahwa puisi Arab mengalami pergeseran dari kesadaran ekologis adaptif-eksistensial pada masa Jahiliyah menuju kesadaran teo-ekologis pada periode Islam Awal, tanpa kehilangan sensitivitas yang mendalam terhadap lingkungan alam.

تمثلات الوعي البيئي في الأدب العربي المبكر: مقاربة إيكونقدية مقارنة بين الجاهلية وصدر الإسلام

المقدمة

شهد العالم خلال العقود الأخيرة تصاعدًا غير مسبوق في الأزمات البيئية، حتى أصبحت تمثل أحد أبرز التحديات التي تهدد استدامة الحياة البشرية. وتشير التقارير الدولية إلى أن الأزمة البيئية لم تعد تقتصر على ظاهرة التغير المناخي، وإنما تشمل أيضًا فقدان التنوع البيولوجي وتفاقم التلوث البيئي، وهي الأزمات الثلاث التي يواجهها العالم في الوقت الحاضر .(UNEP, 2024) كما تجاوز استهلاك الموارد الطبيعية القدرة التجددية للأرض، إذ يتطلب نمط الاستهلاك العالمي الحالي موارد تعادل نحو ١,٦ كوكب لضمان استمراره .(UNEP, 2024) وتؤكد مؤشرات أخرى خطورة هذا الوضع؛ فقد أصبح نحو مليون نوع من الكائنات الحية مهددًا بالانقراض نتيجة الأنشطة البشرية (IPBES, 2019)، كما شهد أكثر من ٧٥٪ من اليابسة تغيرات كبيرة، وفُقد أو تدهور نحو ٨٥٪ من الأراضي الرطبة العالمية .(UNEP, 2024) وفي الوقت نفسه، سجل عام ٢٠٢٤ أعلى متوسط لدرجة الحرارة العالمية منذ بدء القياسات الحديثة، متجاوزًا مستويات ما قبل الثورة الصناعية بنحو ١,٥٥°م، مع تزايد موجات الحر والفيضانات والجفاف والعواصف في مختلف أنحاء العالم .(WMO, 2025) كذلك يعيش نحو ٤,٥ مليارات نسمة في مناطق معرضة لمخاطر التغير المناخي، بينما تستمر إزالة الغابات بوتيرة مرتفعة سنويًا .(World Bank, 2024; FAO, 2024) وتؤكد هذه المؤشرات أن الأزمة البيئية أصبحت قضية عالمية متعددة الأبعاد، تتداخل فيها الجوانب البيئية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وتكشف هذه التقارير أن جذور الأزمة البيئية ترتبط إلى حد كبير بالسلوك الإنساني وأنماط استغلال الموارد الطبيعية، الأمر الذي يجعل معالجتها غير مقتصرة على السياسات الحكومية أو التطور التكنولوجي أو التشريعات البيئية. فعلى الرغم من الجهود المبذولة في مجالات التعليم، والتوعية، والإعلام، والتنمية المستدامة، وترسيخ القيم الأخلاقية والدينية، فإن كثيرًا من هذه المبادرات ركز على نقل المعرفة أكثر من اهتمامه بإحداث تحول في القيم والسلوك. وقد بينت الدراسات أن امتلاك المعرفة البيئية لا يؤدي بالضرورة إلى تبني ممارسات مسؤولة تجاه البيئة، لأن الوعي البيئي يتشكل من خلال منظومة معقدة من الخبرة والقيم والعواطف والتفاعل المستمر مع الطبيعة .(Corraliza & Collado, 2019)ومن هنا تبرز أهمية الأدب بوصفه وسيطًا ثقافيًا قادرًا على تنمية الحس البيئي؛ إذ لا يكتفي بعرض المشكلات البيئية، بل يسهم في إثارة الخيال والتأمل الأخلاقي وتعزيز التعاطف مع الطبيعة، بما يساعد على بناء وعي بيئي أكثر عمقًا واستدامة.

وانطلاقًا من هذا الدور، أصبح الأدب أحد الحقول المهمة لدراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة. فمن خلال السرد والشعر والرموز والصور الفنية، يعيد الأدب تشكيل تصور الإنسان للطبيعة، ويطرح أسئلة تتعلق باستغلال الموارد، واختلال التوازن البيئي، ومسؤولية الإنسان تجاه محيطه. ولذلك لم يعد يُنظر إلى الأدب بوصفه ممارسة جمالية فحسب، بل باعتباره وسيلة ثقافية تسهم في بناء الوعي البيئي وإعادة تشكيل القيم المرتبطة بالعلاقة بين الإنسان والطبيعة. وقد تعزز هذا الاتجاه مع تطور الدراسات الإيكونقدية(Ecocriticism) ، التي تجاوزت دراسة تمثيل الطبيعة في النصوص الأدبية إلى تحليل قضايا الاستغلال البيئي، والسلطة، والعدالة البيئية، والاستدامة. وفي هذا السياق، قدم Vasudevan & Mukherjee (2025) منهج Ecocritical Extraction Analysis (EEA) الذي يوفر إطارًا منهجيًا لدراسة تمثلات استغلال الموارد الطبيعية، وبنية العلاقات بين الإنسان والبيئة، وصور المقاومة البيئية في النصوص الأدبية، مؤكدين أن الأدب يمثل أداة للنقد الاجتماعي بقدر ما يمثل وسيلة للتعبير الجمالي (Vasudevan & Mukherjee, 2025).

ويُعد الأدب العربي من التقاليد الأدبية الغنية التي حافظت على حضور الطبيعة في مختلف مراحلها التاريخية. فقد احتلت الصحراء، والمطر، والينابيع، والنباتات، والحيوانات مكانة بارزة في الشعر الجاهلي، ثم تطورت صور الطبيعة في الأدب العباسي والأندلسي لتشمل الحدائق والأنهار والمناظر الطبيعية، قبل أن تتجه الرواية والشعر العربيان في العصرين الحديث والمعاصر إلى تناول قضايا التلوث، والتوسع العمراني، واستنزاف الموارد، وآثار التحولات الاجتماعية في البيئة. ويشير هذا الامتداد التاريخي إلى أن الوعي البيئي ليس ظاهرة طارئة في الأدب العربي، بل يمثل مسارًا فكريًا وثقافيًا تطور مع تطور المجتمع العربي، مما يجعل دراسة هذا الوعي مدخلًا لفهم تطور تصور الإنسان العربي لعلاقته بالطبيعة عبر العصور.

وقد شهدت الدراسات الحديثة اهتمامًا متزايدًا بتحليل هذه العلاقة في الأدب العربي. فقد أوضحت دراسة Mukattash (2022)أن البيئة الطبيعية تؤدي دورًا رئيسًا في تشكيل هوية الشخصية العربية في المهجر من خلال رواية *My Name Is Salma*. كما بينت دراسة Shamim (2024) أن صور الطبيعة في شعر Mahmoud Darwish و Naomi Shihab Nyeتتجاوز الوظيفة الجمالية لتصبح وسيلة للتعبير عن الهوية والذاكرة والمقاومة. وأظهرت دراسة Ewaidat (2019) لرواية *Al-Arḍ (The Land)* أن الأدب يسهم في ترسيخ الوعي البيئي من خلال إبراز العلاقة العضوية بين الإنسان والأرض الزراعية. أما دراسة Alghamdi (2025) فقد بينت أن الرواية العربية المعاصرة أصبحت تعالج البيئة في ارتباطها بالاستعمار، والحروب، والهجرة، والعدالة البيئية، بما يكشف عن التحول من تمثيل الطبيعة إلى تحليل أبعادها التاريخية والسياسية والثقافية.

وعلى الرغم من القيمة العلمية لهذه الدراسات، فإن معظمها اقتصر على تحليل أعمال أو مؤلفين بعينهم، مما جعل فهم تطور الوعي البيئي في الأدب العربي يظل جزئيًا. ولا تزال الدراسات التي تتناول هذا التطور في إطار

تاريخي يمتد من الشعر الجاهلي إلى الأدب العربي الحديث والمعاصر محدودة. وانطلاقًا من هذه الفجوة، تهدف هذه الدراسة إلى تتبع تحولات الوعي البيئي في الأدب العربي عبر مراحله التاريخية المختلفة، للكشف عن كيفية بناء العلاقة بين الإنسان والطبيعة وتحولاتها عبر الزمن. ولتحقيق ذلك، تعتمد الدراسة على المنهج الإيكونقدي (Ecocriticism)والمنهج الوصفي–التحليلي التاريخي، من خلال تحليل نصوص أدبية عربية تمثل مراحل تاريخية متعددة، للكشف عن مظاهر الوعي البيئي، وتتبع تطورها واستمراريتها داخل التقليد الأدبي العربي. وتسعى الدراسة إلى تقديم رؤية أكثر شمولًا لتطور الوعي البيئي في الأدب العربي، وإبراز إسهامه في إثراء النقاش المعاصر حول الإيكولوجيا الإنسانية والعلاقة بين الإنسان والطبيعة.

التأصيل المفاهيمي للوعي البيئي في الدراسات الأدبية

لا يُعَدّ الوعي البيئي (*Ecological Awareness*) في جوهره مجرد معرفة نظرية جامدة بالبيئة، بل هو بناءٌ مفاهيمي متعدد الأبعاد يتصل بالكيفية التي يدرك بها الإنسان علاقته التبادلية مع الكون ويعيشها ويستبطنها في وعيه وسلوكه .(Stewart Cohan, 2015) وبوصفه مفهومًا متكاملًا، يشتمل الوعي البيئي على ثلاثة أبعاد رئيسة مترابطة، هي: البعد المعرفي–الإدراكي، والبعد الروحي الشمولي، والبعد الوجداني الأخلاقي (Thomas P. Maxwell, 2003).

فعلى المستوى الأكثر أساسية، يتجلى الوعي البيئي في البعد المعرفي الإدراكي، أي في القدرة الحسية على التعرف إلى خصائص البيئة المحيطة وتمييزها. وقد أثبتت الدراسات أن هذا النوع من الوعي يبدأ في التشكّل منذ مرحلة ما قبل المدرسة، حيث يتمكن الأطفال بصريًا من التمييز بين البيئات النظيفة والبيئات الملوثة، وإن كانت قدرتهم على التعبير اللفظي عن هذه الظواهر ومناقشتها بصورة تحليلية لا تكتمل إلا مع التقدم في العمر والنضج المعرفي.(Stewart Cohan, 2015)

ويتجاوز الوعي البيئي الحقيقي هذا المستوى ليشمل البعد الروحي الشمولي الذي يسعى إلى تجاوز أزمة الإدراك التي أفرزتها الرؤية الحداثية للعالم. فوفق هذا المنظور، لا يُنظر إلى الكون بوصفه مجموعة من الأشياء الميكانيكية المنفصلة، بل باعتباره شبكة حياة متكاملة ومترابطة .(*unbroken wholeness*) ومن خلال التكامل بين المعرفة العلمية الحديثة والتقاليد التأملية والروحية، يؤكد هذا التصور أن الإنسان والكون يشكلان وحدة وجودية تقوم على الاعتماد المتبادل. ومن هذه الرؤية الشمولية ينبثق البعد الوجداني–الأخلاقي، الذي يتمثل في تنامي مشاعر الإعجاب والانبهار بجمال الطبيعة، وظهور التزام أخلاقي ذاتي بالمحافظة على البيئة والأرض بعيدًا عن أي إكراه أو توجيه أخلاقي خارجي.(Thomas P. Maxwell, 2003)

وفي سياق الدراسات الأدبية، يمكن النظر إلى الوعي البيئي بوصفه تجليًا جماليًا وسرديًا يُمثّل فضاءً للمصالحة النفسية وجسرًا عاطفيًا يربط الإنسان بالطبيعة التي كثيرًا ما أفضت عمليات التحديث إلى إبعاده عنها.

فمنذ الشعر الرعوي القديم وحتى أدب الأطفال الحديث، لم تُقدَّم الطبيعة في الأعمال الأدبية بوصفها خلفيةً صامتة للأحداث فحسب، بل بوصفها ذاتًا فاعلة وعنصرًا حيًّا يضاهي الإنسان في حضوره وأهميته.

ويتشكل الوعي البيئي في النصوص الأدبية عادة من خلال مسلكين رئيسين. أولهما التشخيص الإيكومركزي (*ecocentric anthropomorphism*)، ويقصد به إضفاء الصفات والمشاعر الإنسانية على عناصر الطبيعة، كالحيوانات والنباتات والظواهر الطبيعية. ويُسهم هذا الأسلوب في دفع القارئ إلى النظر إلى الطبيعة لا باعتبارها مجرد موضوع للاستغلال والمنفعة، بل بوصفها جزءًا من الحياة يمتلك قيمة ذاتية تستحق الاحترام والتقدير. أما المسلك الثاني فيتمثل في الصور الشعرية الغنائية التي تُبرز جمال الطبيعة وعظمتها وانسجامها في صياغات فنية مؤثرة، بما يثير لدى المتلقي مشاعر الإعجاب والتقارب الوجداني مع البيئة.

وفي هذا الإطار، لا يُبنى الوعي البيئي الفاعل على السرديات التي تُفرط في تصوير الكوارث البيئية أو مشاهد الدمار؛ لأن ذلك قد يفضي إلى نشوء حالة من الخوف أو النفور من الطبيعة (*ecophobia*). بل إن الوعي البيئي الأكثر تأثيرًا يتأسس على ترسيخ قيم الانسجام والرعاية والمسؤولية البيئية، وعلى تشجيع جهود الإصلاح والاستعادة البيئية. وعندما تقترن تجربة قراءة النصوص الأدبية بأنشطة تتيح تفاعلًا مباشرًا مع الطبيعة، فإن الأدب لا يظل مجرد وسيلة لتمثيل الواقع البيئي، بل يتحول إلى أداة فاعلة في تنمية وعي بيئي أعمق وأكثر رسوخًا. ومن ثمّ، يضطلع الأدب بدور محوري في تشكيل رؤية أكثر تعاطفًا ومسؤولية تجاه البيئة، وفي تعزيز علاقة أكثر توازنًا وانسجامًا بين الإنسان والعالم الطبيعي.(C.A. Tsekos, 2012)

تمثلات الوعي البيئي في الأدب العربي الجاهلي

تكشف دراسة الشعر العربي الجاهلي أن العلاقة بين الإنسان والطبيعة احتلت مكانة محورية في تشكيل التجربة الحياتية للمجتمع العربي قبل الإسلام. ومن منظور النقد البيئي(*Ecocriticism*) ، لا تُقدَّم الطبيعة في الأدب الجاهلي بوصفها خلفيةً ساكنة تؤدي وظيفة تكميلية للأحداث الشعرية فحسب، بل تُصوَّر باعتبارها جزءًا أصيلًا من الحياة الإنسانية يؤثر بصورة مباشرة في أنماط التفكير والمشاعر والسلوك والرؤية إلى الوجود. وقد جعلت حياة البدو في البيئة الصحراوية القاسية من الطبيعة عاملًا حاسمًا في ضمان البقاء والاستمرار.

وينعكس هذا الواقع بوضوح في النتاج الأدبي الذي خلفه شعراء العصر الجاهلي. فالشعر الجاهلي لا يقتصر على تسجيل التجارب الفردية للشاعر، بل يمثل أيضًا وثيقةً بيئية تسجل أشكال التفاعل المتبادل بين الإنسان وبيئته. وفي هذا السياق، تتجلى مظاهر الوعي البيئي في قدرة الشعراء على ملاحظة عناصر الطبيعة وفهمها وإضفاء المعاني عليها بوصفها جزءًا لا ينفصل عن الوجود الإنساني. وتمثل البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي عادةً من خلال

نمطين رئيسين: عناصر ثابتة أو ساكنة مثل الليل والجبال والرمال والأطلال، وعناصر متحركة أو ديناميكية مثل الحيوانات والنباتات والمياه والأمطار.(Abdul Karim, 2022)

ومن الجدير بالملاحظة أن هذين النمطين لا يظهران بصورة منفصلة، بل يتكاملان في تشكيل الرؤية البيئية للمجتمع العربي القديم. ومن خلال هذه التمثلات يتضح أن الإنسان لم يكن يُنظر إليه بوصفه سيدًا مطلقًا للطبيعة، بل بوصفه جزءًا من شبكة الحياة التي يتعين عليه التكيف مع قوانينها وظروفها.

ومن أبرز مظاهر الوعي البيئي في الأدب الجاهلي الطريقة التي تعامل بها الشعراء مع العناصر الطبيعية الساكنة أو غير المتحركة. فقد اكتسبت مكونات الطبيعة، كالليل والجبال والصحراء والأطلال، أهمية كبيرة في تشكيل الخبرة النفسية والوجدانية للإنسان. فالليل، على سبيل المثال، لا يُصوَّر مجرد تعاقب زمني بين النهار والفجر، وإنما يُقدَّم بوصفه فضاءً للتأمل والعزلة، ومجالًا يستحضر الشوق والحزن والتفكر العميق في الحياة .M) Zuruq, 2013, 276).

وفي عدد من قصائد امرئ القيس، يُشخَّص الليل ويُصوَّر قوةً هائلة تحيط بالإنسان وتختبر قدرته على الصبر والتحمل. ويعكس هذا التصوير حساسية الشاعر العالية تجاه أثر البيئة الطبيعية في الحالة النفسية للإنسان. وينطبق الأمر ذاته على الجبال التي كثيرًا ما تُقدَّم رمزًا للقوة والثبات والحماية. فالجبال لا تُنظر إليها باعتبارها معالم جغرافية فحسب، بل تُعد كذلك مصدرًا للحياة من خلال دورها في توجيه مياه الأمطار إلى الأودية التي تنشأ فيها مواطن العمران والحياة.(Ihryr, M. Saleh, 2025, 52)

كما تتجلى ملامح الوعي البيئي في تصوير الصحراء والأطلال .(*al-aṭlāl*) فقد كانت هذه الأمكنة بالنسبة إلى الشاعر الجاهلي مستودعًا للذاكرة الجماعية المرتبطة بالتاريخ والهوية والتجارب الإنسانية. ويكشف الإكثار من ذكر أسماء المواقع والأماكن بدقة عن عمق الصلة بين الإنسان والمجال الجغرافي الذي يعيش فيه. ومن ثم فإن العناصر الطبيعية التي تبدو ساكنة تؤدي في الواقع دورًا فاعلًا في تشكيل الوعي والهوية والخبرة الوجودية للمجتمع الجاهلي .(Abdul Wahid, 1983, 5–45)

وإلى جانب البيئة الساكنة، يظهر الوعي البيئي في الأدب الجاهلي من خلال تصوير الكائنات الحية، ولا سيما الحيوانات التي أدت أدوارًا جوهرية في حياة المجتمع الصحراوي. ويُعد الجمل العنصر الأكثر حضورًا في هذا السياق، إذ احتل مكانة بارزة في عدد كبير من القصائد. ولم يكن الجمل مجرد وسيلة للنقل أو مورد اقتصادي، بل صُوِّر بوصفه رفيقًا للإنسان وشريكًا له في مواجهة قسوة الحياة الصحراوية. وقد اعتنى الشعراء بوصفه وصفًا دقيقًا شمل هيئته الجسدية وقوته وقدرته على التحمل وسلوكه في البيئات القاسية.(Maitieq, S. A., & Ramadan, A. S., 2022)

ويكشف هذا الوصف التفصيلي عن درجة عالية من التقدير للكائنات الحية الأخرى التي تسهم في استمرار الحياة الإنسانية. وإلى جانب الإبل، حظيت بعض أنواع الطيور بعناية خاصة في الشعر الجاهلي، ومن ذلك طائر

القطا الذي اتخذ رمزًا للذكاء والقدرة على التكيف، نظرًا لمهارته في العثور على مصادر المياه في قلب الصحراء الواسعة (Ibn Mulawwih, 1999, 97).

ويُظهر حضور هذه الحيوانات في النصوص الأدبية أن العرب قبل الإسلام امتلكوا معرفة دقيقة نسبيًا بسلوك الحيوانات ووظائفها البيئية. ومن خلال هذه التمثلات يتضح إدراكهم أن الإنسان لا يعيش بمعزل عن سائر الكائنات، بل يعتمد في بقائه على عناصر حية أخرى تشكل جزءًا من المنظومة البيئية الصحراوية.

ومن الجوانب الأخرى التي تعكس قوة الوعي البيئي في الأدب الجاهلي تصوير الماء والمطر بوصفهما مصدر الحياة وركيزتها الأساسية، سواء من الناحية المادية أو الرمزية. ففي البيئة الصحراوية الجافة، كان الماء عاملًا حاسمًا في بقاء الإنسان والحيوان والنبات. ولهذا السبب غالبًا ما يُصوَّر المطر بوصفه نعمة تحمل معها الأمل والخصب والبركة. وقد رسم الشعراء صورًا مفعمة بالإعجاب للتحولات التي تطرأ على المشهد الصحراوي بعد نزول المطر، إذ تتحول الأرض القاحلة إلى فضاء خصب قابل للحياة والإنتاج.(Zuhair bin Abi Sulma, 1964, 56)

وتدل هذه الصور على أن المجتمع الجاهلي كان يدرك بعمق أهمية التوازن البيئي بوصفه شرطًا أساسيًا لاستمرار الحياة. ومن جهة أخرى، كانت ندرة المياه تحمل أبعادًا اجتماعية وسياسية واسعة. فامتلاك مصادر المياه كان يمثل مؤشرًا على القوة والمكانة والشرف القبلي. وكثيرًا ما كانت النزاعات بين القبائل تنشأ بسبب التنافس على الآبار والواحات التي تمثل شريان الحياة في الصحراء. وقد انعكست هذه الحقائق في الشعر الجاهلي من خلال استعارات وصور متعددة تكشف عن العلاقة الوثيقة بين الموارد الطبيعية والبنية الاجتماعية للمجتمع. ومن ثم فإن الماء لم يكن يُنظر إليه بوصفه عنصرًا بيئيًا فحسب، بل باعتباره عاملًا مؤثرًا في تشكيل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للعرب قبل الإسلام.

إضافة إلى ذلك، لقد أشارت نتائج تحليل النصوص الشعرية الجاهلية المختارة في هذه الدراسة إلى أن عناصر البيئة لم تؤدِّ وظيفة وصفية أو زخرفية فحسب، بل أسهمت في تشكيل رؤية الإنسان لعلاقته بالطبيعة ولشروط بقائه داخل البيئة الصحراوية. فقد أظهرت النصوص أن الليل، والجبال، والصحراء، والأطلال، والحيوانات، والمطر، ومصادر المياه، كانت تمثل عناصر فاعلة في بناء التجربة الوجودية والاجتماعية للشاعر، وهو ما يؤكد أن البيئة كانت جزءًا من البنية الثقافية للمجتمع الجاهلي، لا مجرد إطار مكاني للأحداث.

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه (Ṣāliḥ & Aḥrīr, 2025) و(Waked, 2025)، إذ بينت هاتان الدراستان أن البيئة الصحراوية أسهمت في تشكيل الرؤية الشعرية العربية المبكرة، وأن حضور عناصرها في النصوص يعكس خبرة ثقافية متراكمة أكثر من كونه وصفًا للطبيعة. غير أن نتائج الدراسة الحالية تضيف بعدًا آخر يتمثل في أن هذه العناصر تكشف أيضًا عن نمط من الوعي البيئي التكيفي، تشكل من خلال التفاعل اليومي مع البيئة الطبيعية،

حيث ارتبطت قيمة العنصر البيئي بوظيفته في ضمان البقاء، واستمرار الحياة، والمحافظة على التوازن داخل المجتمع الصحراوي.

كما تنسجم هذه النتائج مع التصورات الحديثة في النقد البيئي التي ترى أن الأدب لا يقتصر على تمثيل الطبيعة، وإنما يكشف أنماط العلاقة بين الإنسان والبيئة والقيم التي تحكم هذه العلاقة (Vasudevan & Mukherjee, 2025). وفي هذا السياق، تبين النصوص الجاهلية التي حللتها الدراسة أن الوعي البيئي لم يكن قائمًا على مفاهيم بيئية حديثة، بل على معرفة تراكمية اكتسبها الإنسان من خلال معايشته المباشرة للطبيعة، وهو ما يتوافق مع ما أشار إليه (Corraliza & Collado, 2019) من أن الوعي البيئي يتكون من الخبرة والقيم والممارسات، وليس من المعرفة النظرية وحدها.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن النصوص الشعرية الجاهلية المختارة في هذه الدراسة تعكس نمطًا من الوعي البيئي ذي طابع تكيفي–وجودي، إذ تبرز الطبيعة بوصفها شريكًا في تشكيل التجربة الإنسانية، ومصدرًا لفهم شروط الحياة داخل البيئة الصحراوية. ويقتصر هذا الاستنتاج على corpus النصوص التي خضعت للتحليل، ولا يُقصد به تعميم الحكم على جميع الشعر الجاهلي، الأمر الذي يفتح المجال لدراسات لاحقة تشمل مدونات شعرية أوسع للتحقق من مدى اتساع هذا النمط أو تنوعه.

تمثلات الوعي البيئي في الأدب العربي في صدر الإسلام

ارتبط الإنسان العربي منذ العصور الأولى ارتباطًا وثيقًا بالبيئة الطبيعية التي عاش في كنفها. غير أن ظهور الإسلام أحدث تحولًا جوهريًا في طريقة النظر إلى الطبيعة وموقعها في حياة الإنسان. فلم تعد الطبيعة تُفهم بوصفها مجرد فضاء مادي يضمن استمرار الحياة البشرية، بل أصبحت تُدرك باعتبارها مجموعة من الآيات الدالة على عظمة الله تعالى وقدرته ورحمته. وقد انعكس هذا التحول الفكري والعقدي بوضوح في النتاج الأدبي خلال صدر الإسلام، حيث لم يعد الشعر وسيلة للتعبير عن القيم الدينية فحسب، بل غدا أيضًا أداة للتأمل في العلاقة بين الإنسان والطبيعة في ضوء الرؤية التوحيدية. ولهذا حضرت عناصر البيئة المختلفة، كالماء والنار والأرض والجبال والسماء والنور والفجر، في الشعر الإسلامي المبكر بوصفها رموزًا تستحضر عظمة الخالق وتدعو الإنسان إلى التفكر في سننه الكونية. ومن ثمّ، تكشف تمثلات الطبيعة في أدب صدر الإسلام عن تطور شكل من أشكال الوعي البيئي الذي لا يستند إلى ضرورات البقاء وحدها، بل ينبع كذلك من إدراك روحي يرى أن جميع عناصر الكون مخلوقات إلهية ذات دلالات وقيم تتجاوز وجودها المادي المباشر (Farḥān, J. F., 2025).

ويُعد الماء من أبرز العناصر الطبيعية التي تجلت فيها هذه الرؤية الجديدة. ففي البيئة الصحراوية العربية، كان الماء يمثل المصدر الأساسي لاستمرار الحياة. إلا أن الشعر الإسلامي المبكر تجاوز هذا البعد النفعي المباشر ليمنح

الماء أبعادًا روحية أعمق. فقد نظر الشعراء المسلمون إلى الماء باعتباره آية من آيات الله ودليلًا على حكمته في تنظيم الكون. ويتجلى ذلك في شعر عبد الله بن رواحة الذي ربط بين وجود الماء وبين قدرة الله تعالى وصدق الرسالة الإسلامية (Ibn Rawāḥah, 1982).

ومن منظور النقد البيئي، تكشف هذه الصورة عن تحول وظيفة العنصر الطبيعي من مجرد مادة مادية إلى وسيط رمزي يقود الإنسان نحو التأمل الديني وإدراك العلاقة بين الكون وخالقه. فالماء هنا لا يمثل فقط مصدرًا للحياة البيولوجية، بل يصبح رمزًا للأصل الذي انبثقت منه الحياة، وللنظام الكوني الذي يخضع لمشيئة الله، وهو ما ينسجم مع التصور القرآني الوارد في قوله تعالى: ﴿*وكان عرشه على الماء*﴾ (هود: ٧). وهكذا يغدو الماء في الشعر الإسلامي المبكر علامةً على انتظام الخلق ودليلًا على سلطان الله على جميع مخلوقاته.

وتتجلى مظاهر الوعي البيئي بصورة أكثر عمقًا عندما يجمع الشعراء بين عنصرين طبيعيين متقابلين في خصائصهما الفيزيائية، هما الماء والنار. ففي الواقع البيئي يشكل كل منهما نقيضًا للآخر؛ فالماء يطفئ النار، والنار تُبخر الماء. إلا أن الشعر الإسلامي المبكر أعاد تأويل هذه الثنائية المتعارضة ضمن إطار منسجم يبرز وحدة النظام الكوني وخضوعه لإرادة الله تعالى.

وقد عبّر الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة العامري عن هذا الإدراك الإيكولوجي–الفلسفي حين جعل الماء والنار معًا من دلائل القدرة الإلهية، مؤكدًا أن كليهما يحمل عبرةً لمن يتأمل آيات الكون (Labid bin Rabiah, 2004). ومن منظور النقد البيئي، يعكس هذا التصوير مفهوم التوازن البيئي (*ecological balance*)، إذ لم يعد الشاعر ينظر إلى النار من زاوية وظيفتها اليومية بوصفها وسيلة للطهي أو التدفئة، بل ارتقى بها إلى مستوى العلامة الكونية التي تؤدي دورًا مكملًا لدور الماء داخل النظام الكوني نفسه.

ومن خلال هذه الرؤية، يؤكد لبيد أن انتظام الحياة يقوم على مبدأ التوازن والتكامل بين العناصر المختلفة. فالعناصر التي تبدو متناقضة في ظاهرها تشترك في أداء وظائف تحفظ استمرار الكون واستقراره. وهكذا لا يقتصر المعنى على إثبات قدرة الله تعالى، بل يتضمن أيضًا دعوة ضمنية إلى إدراك موقع الإنسان داخل المنظومة البيئية بوصفه جزءًا منها لا متحكمًا مطلقًا فيها. ولذلك تعكس هذه الصورة وعيًا بيئيًا يقوم على احترام قوانين الطبيعة والحفاظ على التوازن الذي تقوم عليه الحياة المشتركة (Aṭiyyah, 2023').

كما يظهر تأثير الرؤية الإسلامية في تعامل الشعراء مع الأرض والجبال. فهذان العنصران لم يعودا مجرد مكونات جغرافية، بل أصبحا يحملان دلالات أخلاقية وروحية مرتبطة بالثبات والاستقرار والرعاية الإلهية للكائنات الحية (Farḥān, J. F., 2025).

ويتجلى ذلك في قول لبيد بن ربيعة:

والأرضُ تحتهمُ مهادًا راسيًا ثبتت خوالقُها بصُمِّ الجندلِ (Labid bin Rabiah, 2004)

ففي هذا التصوير تبدو الأرض فراشًا مستقرًا ومهيأً للحياة، بينما تؤدي الجبال دور الدعائم التي تحفظ توازنها وثباتها. ومن منظور النقد البيئي، تعكس هذه الصورة وعيًا بأهمية الاستقرار البيئي بوصفه شرطًا أساسيًا لاستمرار الحياة الإنسانية وغيرها من أشكال الحياة.

ويُلاحظ كذلك أن اختيار لفظة *مهاد* يكشف عن أثر واضح للخطاب القرآني، ولا سيما قوله تعالى: ﴿*ألم نجعل الأرض مهادًا والجبال أوتادًا*﴾ (النبأ: ٦–٧). ويشير هذا التناص إلى أن التجربة البيئية للشاعر لم تعد نابعة من الملاحظة الحسية وحدها كما كان الحال في الشعر الجاهلي، بل أصبحت مؤطرة بالرؤية التوحيدية التي تنظر إلى الطبيعة باعتبارها خلقًا إلهيًا قائمًا على الحكمة والغاية. ومن خلال هذا التصوير، يُوجَّه القارئ إلى إدراك أن استقرار الحياة مرهون باستقرار النظام البيئي الذي أوجده الله تعالى، وهو إدراك يُفضي إلى تنمية مشاعر التواضع والمسؤولية تجاه البيئة المحيطة.

ويذهب النقد البيئي أبعد من ذلك حين يلفت الانتباه إلى العلاقة التكاملية بين الأرض والجبال باعتبارهما عنصرين مترابطين داخل النظام الطبيعي. فقد استطاع الشاعر أن يلتقط الوظيفة البيئية الكبرى للجبال بوصفها عنصرًا يضمن التوازن والاستقرار. ومن خلال هذه العلاقة المتبادلة، تُقدَّم الطبيعة بوصفها منظومة متناسقة أُعدت خصيصًا لتهيئة شروط الحياة واستمرارها.

ولم يكن لبيد وحده من وظف الجبال في بناء الدلالة البيئية والروحية، بل نجد ذلك أيضًا عند حسان بن ثابت في قوله:

فما زال في الإسلام من آل هاشمٍ دعائمُ عزٍّ لا يزولُ ومفخرُ هُمُ جبلُ الإسلامِ والناسُ حولهُ رضامٌ إلى طودٍ يروقُ ويقهرُ (Hassan bin Thabit, 1994)

ففي هذا النص يجعل حسان الجبل استعارةً مركزية للتعبير عن ثبات قادة الإسلام وقوتهم في حماية الدين والمجتمع. ومن منظور النقد البيئي، لا يؤدي الجبل هنا وظيفة بلاغية فحسب، بل يتحول إلى نموذج أخلاقي يُستمد من الطبيعة نفسها. فالخصائص البيئية للجبل، كالثبات والقوة والحماية، تُترجم إلى معانٍ اجتماعية وروحية تتعلق بالإيمان والقيادة والاستمرارية. وبذلك تصبح الطبيعة مصدرًا للقيم والمعاني، لا مجرد إطار للأحداث أو موضوع للوصف.

ومن العناصر البيئية الأخرى التي شهدت تحولًا دلاليًا عميقًا في صدر الإسلام عنصر السماء. ففي الشعر الجاهلي كانت السماء تُستحضر أحيانًا بوصفها رمزًا للمصير الغامض أو العواصف المهددة أو القوى الخارجة عن السيطرة. أما في الشعر الإسلامي المبكر فقد أصبحت السماء فضاءً مقدسًا ومنظمًا يعكس النظام الإلهي الحاكم للكون.

ويعبر حسان بن ثابت عن هذا التحول بقوله:

شهدتُ بإذنِ اللهِ أنَّ محمدًا رسولُ الذي فوقَ السماواتِ من علُ (Hassan bin Thabit, 1994)

ومن منظور النقد البيئي، يعكس هذا النص انتقالًا من رؤية محلية محدودة للكون إلى رؤية كونية شاملة تتجاوز حدود الأرض. فالسماء لم تعد مجرد عنصر طبيعي، بل أصبحت رمزًا لسيادة الله المطلقة، ومجالًا تتجلى فيه وحدة الكون وخضوعه للخالق.

وفي السياق نفسه، يقدم كعب بن مالك الأنصاري تصورًا بيئيًا–توحيديًا للعلاقة بين السماء والأرض من خلال تصوير نزول الوحي:

وفينا رسولُ اللهِ نتبعُ أمرَهُ إذا قال فينا القولَ لا نتطلّعُ تدلّى عليه الروحُ من عندِ ربّهِ يُنزَّلُ من جوِّ السماءِ ويُرفعُ (Ka'ab Ibn Malik, 1997)

فلا يقتصر النص على مدح النبي صلى الله عليه وسلم، بل يؤسس لرؤية كونية تربط بين العالم الأرضي والعالم العلوي عبر حركة الوحي. ومن منظور النقد البيئي، تتحول السماء هنا إلى مصدر للهداية كما تتحول الأرض إلى مجال لتلقي هذه الهداية وتجسيدها في الواقع.

ويشبه هذا التصور عملية نزول المطر التي تحيي الأرض بعد موتها؛ فكما يبعث المطر الحياة في الكائنات الحية، يبعث الوحي الحياة في القلوب والمجتمعات. وبذلك تُصوَّر السماء باعتبارها مصدرًا للبركة يحفظ التوازن الروحي كما يحفظ المطر التوازن البيئي. وتعكس هذه الرؤية فهمًا للطبيعة بوصفها نظامًا مترابطًا تتداخل فيه الوظائف المادية والروحية ضمن إطار التوحيد.

أما العنصر البيئي الأخير الذي احتل مكانة بارزة في الشعر الإسلامي المبكر فهو النور والفجر. ففي العلوم البيئية الحديثة يمثل الضوء المصدر الأساسي للطاقة التي تحفظ استمرارية الحياة. غير أن الشعر الإسلامي أعاد توظيف هذا العنصر الطبيعي ليصبح رمزًا للهداية والإيمان.

ويتجلى ذلك في قصيدة *بانت سعاد* لكعب بن زهير حين يقول:

إنَّ الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ بهِ مهندٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ (Ka'b bin Zuhayr)

فالنور في هذا السياق لا يؤدي وظيفة استعارة دينية فحسب، بل يحافظ أيضًا على دلالته البيئية المرتبطة بالحياة والنظام والاستمرارية. ومن منظور النقد البيئي، يصبح النور رمزًا للقوة التي تُخرج الإنسان من ظلمات الضلال إلى فضاء التوازن الروحي والاجتماعي، كما تُمكّن أشعة الشمس الكائنات الحية من مواصلة وجودها.

وتظهر الفكرة نفسها في شعر عبد الله بن رواحة حين يربط بين طلوع الفجر وتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم للوحي:

وفينا رسولُ اللهِ يتلو كتابَهُ إذا انشقَّ معروفٌ من الصبحِ ساطعُ أرانا الهدى بعد العمى فقلوبُنا به موقناتٌ أنَّ ما قال واقعُ (Abdullah bin Rawahah, 1982)

فالفجر هنا لا يُقدَّم بوصفه ظاهرة زمنية فحسب، بل باعتباره رمزًا لبداية مرحلة جديدة من الهداية والتجدد والأمل. ويعكس هذا الدمج بين الظاهرة الطبيعية والتجربة الدينية رؤيةً تعتبر انتظام الكون انعكاسًا لانتظام الإرادة الإلهية. ومن ثمّ، فإن رمزي النور والفجر في الشعر الإسلامي المبكر يجسدان وعيًا بيئيًا يجعل الطبيعة وسيطًا لفهم التحولات الأخلاقية والروحية والحضارية التي شهدها المجتمع الإسلامي الناشئ.

فبناء على ما تقدم بيانه اكتشف أن النصوص الأدبية في صدر الإسلام تتحول جوهريا في تمثيل الطبيعة ووظيفتها الدلالية. فالعناصر الطبيعية، كالماء والنار والأرض والجبال والسماء والنور وسائر الظواهر الكونية، لم تعد مجرد موضوعات للوصف أو مكونات للخبرة الإنسانية اليومية، بل أصبحت رموزًا تعكس عظمة الله تعالى وقدرته وحكمته. ومن خلال هذه التمثلات، أسس الشعراء المسلمون الأوائل شكلًا من أشكال الوعي البيئي المرتكز على قيم التوحيد، حيث تُفهم الطبيعة بوصفها جزءًا من الآيات الإلهية الحاملة لمعانٍ أخلاقية وروحية. وهكذا تعكس أشعار هذه المرحلة علاقة أكثر انسجامًا بين الإنسان والطبيعة والخالق، وتقدم تصورًا يجعل الإنسان جزءًا من نظام كوني متكامل، مسؤولًا عن المحافظة على توازنه واحترام عناصره بوصفها مخلوقات لله تعالى.

النموذج البيئي في الأدب العربي المبكر: التحول من الوعي البيئي الوجودي إلى الوعي البيئي التوحيدي

يكشف تحليل الشعر العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام أن كِلَا المرحلتين تُظهران حضورًا واضحًا للوعي البيئي، غير أن هذا الوعي تجلّى من خلال توجهات فكرية ووظائف رمزية مختلفة. ففي العصر الجاهلي، كانت الطبيعة تُقدَّم بوصفها واقعًا تجريبيًا مرتبطًا بصورة مباشرة بتجربة الإنسان الحياتية. فقد صوّر الشعراء الليل والصحراء والجبال والأمطار والحيوانات ومصادر المياه باعتبارها عناصر بيئية تحدد شروط البقاء والاستمرار. فعلى سبيل المثال، قدّم امرؤ القيس الليل بوصفه فضاءً نفسيًا يبعث على الكآبة ويستحضر مشاعر الحزن والقلق، في حين مثّلت الأطلال (*al-aṭlāl*) رمزًا للارتباط بالمكان الجغرافي وذاكرة الماضي. كما حظيت الناقة بوصف تفصيلي دقيق بوصفها رفيقة السفر التي تُمكّن الإنسان من الصمود في مواجهة قسوة الصحراء. وفي هذا السياق، حضرت العناصر البيئية بوصفها تعبيرًا عن التجربة الوجودية للإنسان في تفاعله مع محيطه الطبيعي. فالطبيعة لم تكن مجرد إطار خارجي للحياة، بل شريكًا وجوديًا يؤثر بصورة مباشرة في البنية الاجتماعية والعاطفية والثقافية للمجتمع العربي.(Aḥrīr & Ṣāliḥ, 2025; Waked, 2025)

أما في عصر صدر الإسلام، فقد خضعت هذه العناصر الطبيعية ذاتها لتحول دلالي عميق نتيجة تأثير الرؤية التوحيدية للعالم (*worldview of tawḥīd*). فإذا كان الشاعر الجاهلي ينظر إلى الماء بوصفه مصدرًا للحياة البيولوجية وعلامة على الخصب والازدهار، فإن الشاعر المسلم المبكر أعاد تأويله ليصبح رمزًا للنظام الكوني ودليلًا على قدرة الله تعالى. ويتجلى ذلك في شعر عبد الله بن رواحة الذي ربط الماء بفعل الخلق والقدرة الإلهية، بحيث لم يعد الماء مجرد عنصر بيئي، بل تحول إلى آية كونية تدعو الإنسان إلى التأمل الروحي والتفكر في عظمة الخالق (Ibn Rawāḥah, 1982; Waked, 2025). ويعكس هذا التحول انتقالًا من الوظيفة النفعية المباشرة إلى الوظيفة اللاهوتية والروحية.

ويظهر الفرق نفسه في تمثيل الجبال. ففي الشعر الجاهلي، ارتبطت الجبال غالبًا بمعاني القوة الجسدية والصلابة والعظمة القبلية، وكانت جزءًا من المشهد الطبيعي الذي يوفر الحماية ويؤكد الهوية المكانية للمجتمع العربي (Aḥrīr & Ṣāliḥ, 2025). أما في الشعر الإسلامي المبكر، فلم تعد الجبال تُفهم بوصفها مجرد معالم جغرافية، بل أصبحت تحمل دلالات كونية وروحية. ويظهر ذلك في قول لبيد بن ربيعة:

والأرضُ تحتهم مهادًا راسيًا ثبتت خوالقُها بصمِّ الجندلِ (Labīd ibn Rabīʿah, 2004)

فهذا التصوير يعكس بوضوح أثر الخطاب القرآني، ولا سيما ما ورد في سورة النبأ (٦–٧) من بيان وظيفة الجبال في تثبيت الأرض وحفظ استقرارها. ومن ثمّ، أصبحت الجبال في الشعر الإسلامي المبكر رمزًا للنظام البيئي الدقيق الذي يعكس حكمة الله تعالى وتدبيره في خلق الكون.(Labīd ibn Rabīʿah, 2004; Farḥān, 2025)

وتبدو التحولات أكثر وضوحًا في التعامل مع العناصر الكونية الكبرى مثل السماء والنور والفجر. ففي الشعر الجاهلي، ارتبطت السماء غالبًا بالعواصف والمخاطر الطبيعية وتقلبات المصير، وكانت تُدرك بوصفها عنصرًا بيئيًا يؤثر مباشرة في حياة الإنسان اليومية (Aḥrīr & Ṣāliḥ, 2025; Waked, 2025). غير أن الأدب الإسلامي المبكر أعاد بناء مفهوم السماء لتصبح فضاءً مقدسًا يربط الأرض بعالم الوحي.

ويتجلى ذلك في شعر كعب بن مالك الذي يصور نزول جبريل عليه السلام بالوحي من السماء وعودته إلى العالم العلوي بعد أداء رسالته. وفي هذا السياق، لم تعد السماء رمزًا للغموض أو عدم اليقين، بل أصبحت رمزًا للهداية ومصدرًا للحياة الروحية للإنسان.(Kaʿb ibn Mālik; Waked, 2025)

وينطبق الأمر نفسه على رمز النور، الذي لا يكاد يظهر في الشعر الجاهلي بوصفه مفهومًا دينيًا أو عقديًا. أما في الشعر الإسلامي المبكر، فقد اكتسب النور مكانة مركزية بوصفه رمزًا للهداية الإلهية. ويظهر ذلك في قول كعب بن زهير في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ (Kaʿb ibn Zuhayr; Waked, 2025)

فالنور هنا لم يعد مجرد ظاهرة طبيعية، بل أصبح استعارة للهداية التي تنقل الإنسان من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، ومن الفوضى الأخلاقية إلى نظام الحياة المتوازن. وبذلك تحولت دلالة الضوء من وظيفته الطبيعية إلى وظيفة روحية وحضارية أوسع.

وكذلك الحال بالنسبة للفجر؛ إذ وظّفه عبد الله بن رواحة رمزًا لقدوم الوحي وولادة مرحلة تاريخية جديدة بعد عصر الجاهلية. فإذا كان الفجر في الشعر الجاهلي لا يتجاوز كونه علامة زمنية تشير إلى انقضاء الليل وبداية النشاط اليومي، فإنه في الشعر الإسلامي المبكر أصبح رمزًا لتحول حضاري شامل، وبداية نهضة روحية وأخلاقية، وميلاد نظام جديد للحياة قائم على الهداية الإلهية.(Ibn Rawāḥah, 1982; Waked, 2025)

وانطلاقًا من هذه المقارنة، يمكن القول إن الفارق الجوهري بين مظاهر الوعي البيئي في العصرين يكمن في الكيفية التي يُدرك بها الشاعر الطبيعة ويفسر معانيها. فقد تشكل الوعي البيئي في الشعر الجاهلي من خلال الملاحظة المباشرة للواقع الصحراوي والتجربة الحياتية الملموسة، ولذلك ظهرت الطبيعة بوصفها فضاءً للوجود الإنساني ووسيلة للتكيف والبقاء. أما في الشعر الإسلامي المبكر، فقد استمرت العلاقة الوثيقة بالطبيعة، غير أنها أُعيدت صياغتها ضمن الإطار التوحيدي، فأصبحت عناصر البيئة ـ كالماء والجبال والسماء والنور والفجر ـ رموزًا روحية تعكس عظمة الله تعالى وتؤكد الترابط المتناغم بين الإنسان والطبيعة والخالق.

وعليه، يمكن وصف هذا التحول بأنه انتقال من وعي بيئي تكيفي–وجودي في العصر الجاهلي إلى وعي بيئي توحيدي (Theo-Ecological Consciousness) في صدر الإسلام، دون أن يعني ذلك انقطاع الحس البيئي أو تراجعه. بل إن الأدب الإسلامي المبكر حافظ على الحساسية البيئية التي عرفها الأدب الجاهلي، وأعاد توجيهها ضمن رؤية كونية أوسع تجعل الطبيعة جزءًا من منظومة الآيات الإلهية الدالة على الحكمة والغاية والنظام. ومن ثمّ، فإن هذا التحول لا يمثل قطيعة مع التراث البيئي السابق، بقدر ما يمثل إعادة تأويل له في ضوء المرجعية الإسلامية الجديدة (Waked, 2025; Farḥān, 2025).

الخلاصة

تكشف هذه الدراسة، في ضوء تحليل النصوص الشعرية المختارة من العصر الجاهلي وصدر الإسلام، أن الوعي البيئي في الأدب العربي المبكر لم يكن حضورًا عارضًا فرضته البيئة الصحراوية، بل مثّل بناءً ثقافيًا وفكريًا تطور بالتوازي مع التحولات الدينية والثقافية التي شهدها المجتمع العربي. وقد أظهرت المقارنة أن الطبيعة أدت في الشعر الجاهلي وظيفة وجودية ارتبطت بالتكيف مع البيئة، وحفظ الذاكرة الجمعية، وترسيخ الهوية، في حين اكتسبت في شعر صدر الإسلام أبعادًا توحيدية وأخلاقية، فأصبحت عناصرها تمثل آيات دالة على النظام الكوني

وعلاقة الإنسان بخالقه. وتشير هذه النتائج إلى تحول في أنماط الوعي البيئي من منظور تكيفي وجودي إلى منظور توحيدي، مع استمرار حضور الطبيعة بوصفها عنصرًا محوريًا في تشكيل التجربة الإنسانية.

وتتمثل الإضافة العلمية للدراسة في تقديم قراءة تاريخية مقارنة لتطور الوعي البيئي في الأدب العربي المبكر، بما يسهم في سد فجوة في الدراسات الإيكونقدية العربية التي انصبت غالبًا على تحليل نصوص أو مؤلفين أو فترات زمنية منفصلة، دون تتبع التحولات التاريخية في أنماط الوعي البيئي. كما تبين الدراسة أن التحول الذي أحدثه الإسلام لم يكن قطيعة مع التصورات البيئية السابقة، وإنما إعادة تأويل لها ضمن إطار عقدي وأخلاقي جديد، وهو ما يبرز استمرارية العلاقة بين الإنسان والطبيعة مع تغير مرجعياتها الدلالية.

ومع ذلك، تقتصر هذه النتائج على ما دون في النصوص الشعرية التي تناولتها الدراسة، ولا يُقصد بها تعميم الحكم على جميع شعر العصر الجاهلي أو صدر الإسلام، الأمر الذي يستدعي إجراء دراسات أوسع تشمل مدونات شعرية ونثرية متنوعة للتحقق من مدى اتساع هذه الأنماط أو اختلافها.

وإضافة إلى ما مضى، تشير نتائج الدراسة أيضا إلى أن التراث الأدبي العربي يمثل مصدرًا معرفيًا يمكن الإفادة منه في تطوير الدراسات الإيكونقدية وإثراء النقاشات البيئية المعاصرة، ولا سيما من خلال إبراز الأبعاد الأخلاقية والثقافية في العلاقة بين الإنسان والطبيعة. ومن ثم، توصي الدراسة بتوسيع البحث ليشمل الأدب العباسي والأندلسي والحديث والمعاصر، بهدف بناء تصور أكثر شمولًا لتطور الوعي البيئي في الأدب العربي عبر العصور.

إقرار وشكر

يتقدم الباحثون ببالغ الشكر والامتنان لـ «الجامعة الدولية المفتوحة (International Open University) على تمويلها السخي ودعمها اللوجستي لهذا المشروع البحثي. ويؤكد الباحثون أن هذا الدعم كان له الأثر البارز في تسهيل مراحل البحث وتحقيق أهدافه العلمية.

المصادر والمراجع

‘Aṭiyyah, I. R. al-S. (2023). *Ansanat al-ṭabī‘ah al-ṣāmitah fī shi‘r Ibn Khafājah: Dirāsah fī ḍaw’ al-naqd al-bī’ī (al-īkūlūjī)* [Humanization of still nature in the poetry of Ibn Khafajah: A study in the light of environmental (ecological) criticism]. *Al-Majallah al-‘Ilmiyyah li-Kulliyat al-Ādāb, Jāmi‘at Dumyāṭ*, *12*(6), 1–25.

Abd al-Wāḥid, M. (1983). *Al-Wuqūf ‘alā al-aṭlāl bayna shu‘arā’ al-Jāhiliyyah wa-al-Islām ḥattā al-qarn al-khāmis al-Hijrī* [Standing over the ruins among pre-Islamic and Islamic poets until the fifth century AH]. Maṭbū‘āt Nādī Makkah al-Thaqāfī.

Al-Khudairat, A. K. S. (2023). Tashkhīṣ al-bī’ah al-ṣāmitah wa-al-bī’ah al-mutaḥarrikah fī al-shi‘r al-Jāhilī [Diagnosis of the silent environment and the moving environment in Pre-Islamic poetry]. *Majallat al-Mishkāt lil-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah*, *10*(2), 123–146.

Alghamdi, A. H. H. (2025). Narrating the ruins: Eco-Orientalism, environmental violence, and postcolonial ecologies in Arab Anglophone fiction. *Open Cultural Studies*, *9*(1), 1–15. https://doi.org/10.1515/culture-2025-0075

Corraliza, J. A., & Collado, S. (2019). Ecological awareness and children's environmental experience. *Papeles del Psicólogo, 40*(3), 190–196. https://doi.org/10.23923/pap.psicol2019.2896

Ewaidat, H. (2019). Al-Sharqawy's *Al-Ardd* (The Land): An ecocritical exploration in Arabic literature: A cultural approach. *ISLE: Interdisciplinary Studies in Literature and Environment*, *0*(0), 1–17. https://doi.org/10.1093/isle/isz108

Farḥān, J. F. (2025). *Al-Shi‘r al-Islāmī al-mubakkir wa-al-bī’ah: Qirā’ah ekokritīkiyyah fī istid‘ā’ al-‘anāṣir al-bī’iyyah ghayr al-ḥayyah ka-rumūz lil-īmān* [Early Islamic poetry and the environment: An ecocritical reading of the invocation of non-living environmental elements as symbols of faith]. *Journal of Al-Farahidi's Arts*, (63), 271–291. https://doi.org/10.25130/jfa.17.63.12

Food and Agriculture Organization. (2024). *The state of the world's forests 2024*. FAO.

Hryr, I., & Saleh, M. (2025). Athar al-bī’ah fī al-shi‘r al-Jāhilī mu‘allaqat Imri’ al-Qays unmūdhajā [The effect of the environment on Pre-Islamic poetry: The hanging of Imru' al-Qais as an example]. *Abhat Journal*, *17*(1), 45–56. https://doi.org/10.37375/aj.v17i1.3220

Ibn Abī Sulmā, Z. (1964). *Dīwān Zuhayr* [The diwan of Zuhair]. Dār al-Qawmiyyah li-al-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.

Ibn al-Mulawwiḥ, Qays. (1999). *Dīwān Qays ibn al-Mulawwaḥ (Majnūn Laylā)* [The Collected Poems of Qays ibn al-Mulawwaḥ (Majnun Layla)]. Yusrā ʿAbd al-Ghanī (Ed.). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn Mālik, Ka‘b. (1997). *Dīwān Ka‘b ibn Mālik* [The collected poems of Ka'b ibn Malik] (1st ed.). Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Ibn Rabī‘ah, Labīd. (2024). *Dīwān Labīd ibn Rabī‘ah al-‘Āmirī* [The collected poems of Labid ibn Rabi'ah al-Amiri] (1st ed.). Dār al-Ma‘rifah.

Ibn Rawāḥah, ‘Abd Allāh. (1982). *Dīwān ‘Abd Allāh ibn Rawāḥah wa-dirāsah fī sīratihi wa-shi‘rihi* [The collected poems of 'Abd Allah ibn Rawahah and a study of his biography and poetry]. Dār al-‘Ulūm.

Intergovernmental Science-Policy Platform on Biodiversity and Ecosystem Services. (2019). *Global assessment report on biodiversity and ecosystem services*. IPBES Secretariat.

Maitieq, S. A., & Ramadan, A. S. (2022). Description of the she-camel in the hanging of Tarfa bin Al-Abd [وصف الناقة في معلقة طرفة بن العبد]. *Sirte University Journal of Humanities*, *12*(2), 213–224. https://doi.org/10.37375/sujh.v12i2.202

Mukattash, E. K. (2022). Transnationalizing ecocritical studies in Arab diasporic fiction: A case study of Fadia Faqir's *My Name Is Salma*. *American, British and Canadian Studies*, *29*(1), 179–200.

Shamim, A. (2024). Ecocritical concerns in the selected poems of Mahmoud Darwish and Naomi Shihab Nye. *Humanities*, *13*(5), 1–18. https://doi.org/10.3390/h13050135

United Nations Environment Programme. (2024). *Global resources outlook 2024*. UNEP.

Vasudevan, H., & Mukherjee, A. (2025). Ecocritical extraction analysis: A method for studying resource exploitation and environmental justice in literature. *MethodsX, 14*, 103384. https://doi.org/10.1016/j.mex.2025.103384

World Bank. (2024). *Climate and development report*. World Bank.

World Meteorological Organization. (2025). *State of the global climate 2024*. WMO.

Zarrūq, al-Ḥasan ʿAlī. (2013). *Al-layl fī al-shiʿr al-Jāhilī: Dirāsah adabiyyah naqdiyyah* [Night in Pre-Islamic Poetry: A Literary and Critical Study]. *Majallat Buḥūth Kulliyyat al-Ādāb* [Journal of Faculty of Arts Research], (93)